بحوث المؤتمر الدولي الثالث

(المنجز العربي اللغوي والأدبي في الدراسات الأجنبية)

٢٤-٢٦/٠٣/١٤٤٢هـ، الموافق ١٠-١٢/١١/٢٠٢٠م

بحوث علمية محكمة

قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب

جائزة الملك فيصل

إنجازات المستشرقين في نشر التراث اللغوي ودراسته وأثرها في الإنجازات العربية بعدها

عبد العزيز بن حميد بن محمد الحميد

الأستاذ في فقه اللغة

ملخص

يأتي البحث محاولةً للكشف عن أبرز إنجازات المستشرقين في حقل نشر التراث العربي وتحقيقه، ودراسته.

ولم تعد جهود المستشرقين خافية على كل منصف، بل تأثر بها العرب في سلوكهم مسالك المستشرقين في النشر، مع تأثرهم بمناهجهم.

جاءت أهمّ مواطن إجادة المستشرقين على النحو التالي:

جمع المخطوطات العربية وفهرستها: بالكشف عن جهود كثير من المستشرقين في جمع المخطوطات العربية وحصرها وفهرستها بناء على مناهج محددة في الفهرسة.

علم نقد النصوص ونشر الكتب: هو العلم الذي نضج في أوربا، فاستخدموه في نشر نصوص لغاتهم القديمة، ثم استخدمه المستشرقون في نشرهم التراث العربي.

لفت نظر العرب إلى نشر تراثهم: فقد كان لهم تأثير كبير في حفز العرب وإكسابهم الخبرة لنشر التراث العربي.

عناصر التطبيق العملي للتحقيق والنشر: فالمستشرقون اعتنوا عناية جليّة بالإجراءات التي يسلكها المحقق: (المقدمة / المقابلة بين النسخ / الفهارس / الترقيم).

دراسة التراث العربي: تميّز المستشرقون بدراسة الكتب العربية دراسة علمية، بالكشف عن جوانب مفيدة في الكتب، وقد أوردت دراستين: (كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني- دراسة المستشرق الألماني فرنرديم / ابن سيده المرسي- المستشرق الأسباني داريو كابانيلاس رودريجيث).

خصائص أعمال المستشرقين التي تأثر بها العرب: أوردت باختصار بعض خصائص أعمالهم التي تأثر بها العرب، ومنها: (تحرّيهم الدقّة في أعمالهم / العناية بفهم لغة الكتاب المحقق وأسلوبه / العناية بفهم مادّة الكتاب المحقق وموضوعه).

كلمات مفتاحية

(إنجازات المستشرقين/ نشر المستشرقين التراث العربي/ تأثر العرب بالمستشرقين/ خصائص أعمال المستشرقين).

توطئة

سبق المسلمون كثيراً من الأمم في ميدان التأليف والنشر العلمي وما يتبعه من عناية بالنصّ وتوثيقه، لكنه لم يصبح منهجاً واضحاً وعلماً محدداً إلا في أوروبّا في العصر الحديث بعد تراكم معارف الأمم المختلفة، ومنهم المسلمون، لديهم واطّلاعهم على ما أنجزته في هذا الميدان.

وقد بدأت ملامح هذا العلم وأصبحت له مناهج واضحة، وأدوات محدّدة، ومرّ بمراحل من التطوّر حتى أواسط القرن التاسع عشر حين وضعوا أصولاً علميّة لنقد النصوص (Text criticism) ونشر الكتب القديمة، وكان أوّل ما وصلوا إليه من هذه القواعد مستنبطاً من الآداب اليونانيّة واللاتينيّة، ثمّ من آداب القرون الوسطى الغربيّة، فأُلّفت المقالات والكتب في هذا الفنّ[1].

ولمّا شرع المستشرقون في نشر التراث العربي استعملوا تلك الأصول والقواعد في نقد الكتب العربيّة، فنشروا كثيراً من التراث العربيّ، وكانت المراكز الاستشراقيّة ترعى تلك الأعمال، سواءً كانت تلك المراكز جمعيات أم جامعات أم مراكز بحث، وإلى جانب تلك المراكز في بلاد الغرب اتّخذوا بعض البلاد في المشرق قواعد لهم، وانطلقوا فيها محقّقين وناشرين النصوص العربيّة.

ولو أردنا الكشف عن مواطن إجادة المستشرقين وإنجازاتهم في حقل نشر التراث اللغوي ودراسته فسنجده ميداناً واسعاً لهم فيه جهود لا يمكن إنكارها، وقد اعترف لهم بالسبق عدد من علماء العرب، وفيما يلي شواهد من تلك الاعترافات:

قال عبد السلام هارون عن ذلك: «إنّ الجهد العلميّ الذي بذله المستشرقون في إحياء التراث العربيّ جهد لا يستطاع إنكاره، فهم كانوا أساتذة الجيل الحاضر في الطريقة العلميّة التي جروا عليها، وأعود لأقول إنّ تحقيق النصوص وتوثيقها فنّ عربيّ أصيل، يتجلّى في معالجة أسلافنا الأقدمين لرواية كتب الحديث واللغة والشعر والأدب والتاريخ في دقّة وأمانة ونظام بارع، ولكنّ المستشرقين تبنّوا إحياء هذا الفنّ في هذه العصور القريبة، ونبغ من بينهم علماء أمناء، قاموا بنشر عيون ثمينة من التراث العربيّ على الوجه الأمثل»[2].

وقال العلامة أحمد شاكر: «وشيء نادر عُني به بعض المستشرقين في أوروبة وغيرها من أقطار الأرض، يمتاز عن كلّ ما طبع في مصر بالمحافظة الدقيقة - غالباً - على ما في الأصول المخطوطة التي يطبع عنها، مهما اختلفت، ويذكرون ما فيها من خطأ وصواب - وتمتاز طبعاتهم أيضاً بوصف الأصول التي يطبعون عنها، وصفاً جيداً، يظهر القارئ على مبلغ الثقة بها، أو الشكّ في صحتها، ليكون على بصيرة من أمره»[3].

---

(١) ينظر: مقدمة برجستراسر لكتابه (أصول نقد النصوص ونشر الكتب ص ١١-١٢

(٢) قطوف أدبية حول تحقيق التراث- عبد السلام هارون ٣٧-٣٨

(٣) تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة - أحمد شاكر ص ١٠-١١

أمّا عن غزارة تحقيقاتهم ونشرهم في جميع العلوم فهو أكثر من أن تحيط به دراسة، وعند النظر إلى نشرهم التراث اللغوي يبدو جهداً كبيراً، وقد جمعت بيانات تسعة وثمانين كتاباً لغوياً نشرها مستشرقون في شتّى البلدان[1].

فيما يلي سأحاول الكشف عن بعض المواطن التي أجاد فيها المستشرقون في ميدان نشر التراث اللغوي وتحقيقة، ثم يلي ذلك الحديث عن دراستهم التراث اللغويّ، ومواطن الإجادة فيه، وتأثير ذلك على المحققين العرب.

أهمّ المواطن التي أجاد فيها المستشرقون:

مواطن إجادتهم متعدّدة فيما يلي أهمّها:

◆ جمع المخطوطات العربية وفهرستها:

أصدر المستشرقون مئات الفهارس المتميزة لحصر المخطوط في عدد من المكتبات العالمية الكبرى، وقد جمع الأستاذ عباس صالح طاشكندي معلومات عدد كبير من هذه الفهارس، فيما يلي ملخص بها:

ألمانيا:

أصدر المستشرقون فليشر، وجيلد ميستر، وأومر، وبرتش، واهلوارد، وبروكلمان فهارس لمخطوطات عدد من المكتبات **الألمانية.**

المملكة المتحدة:

أصدر المستشرقون كوريتون، وريو، وإليس، وإدوارد، ومرجليوث، وفلتون، ولوث، ودينيسون روز، وبرون، وروبين ليفي، ومورلي، ولي استرانج، والكساندر نيكول، وبيوزي، وبالمر، وبرون، وجب، وير، وأبوت، ومنجانا فهارس لمخطوطات عدد من المكتبات في المملكة المتحدة.

النمسا:

أصدر المستشرقان فلوجل، وكرافت فهارس لعدد من المكتبات في النمسا.

فرنسا:

أصدر المستشرقون دي سلان، وبلوشيه، وجريفو فهارس لمخطوطات عدد من المكتبات الفرنسية.

إيطاليا:

أصدر المستشرقون دي هامر، والكاردينال ماي، وديلا فيدا، وجراف، وفون روزن، وبسيونيوس، وبوروميه، وجريفيني فهارس لمخطوطات عدد من المكتبات الإيطالية.

أسبانيا:

أصدر المستشرقون ديرنبورج، وليفي روفنسال، وروبلس، وريبرا، وواسن فهارس لمخطوطات عدد من المكتبات الأسبانية.

---

(١) ينظر: أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي- عبد العزيز الحميد ١/١٦٣-١٧٠

هولندا:

أصدر المستشرقون دوزي، وكيونين، ودي جونج، ودي خويه، وهوتسما، وجون بول، وويليريس فهارس لمخطوطات عدد من المكتبات الهولندية.

الدول الإسكندنافية:

أصدر المستشرقون تورنبغ، وزترستين، ومهرن فهارس لمخطوطات عدد من المكتبات الإسكندنافية.

الاتحاد السوفيتي:

أصدر المستشرقون دورن، والبارون فان روزن، وجوتوالد، وكاشتاليفا، وكراتشكوفسكي فهارس لمخطوطات عدد من المكتبات في الاتحاد.

أمريكا:

أصدر المستشرقون إنوليتمان، وماكدونالد، وفيليب حتي، ونيموى فهارس لمخطوطات عدد من المكتبات الأمريكية[1].

ويظهر مما سبق كثرة تلك الفهارس التي عرّفت العرب بالتراث المخطوط في بلاد شتّى من بلدان العالم، مع تعريفهم بفهرسة المخطوطات، وهو ما أطلق بعد ذلك اهتماماً عربيّاً في فهرسة المخطوطات في البلاد العربيّة.

لا شكّ أن جهود المستشرقين في جمع المخطوطات وفهرستها لفتت العرب إلى هذا الميدان، فأعمالهم قدحت الزّناد لعناية العرب بعد ذلك بفهرسة مخطوطاتهم في أعمال كثيرة استفادوا فيها من مناهج المستشرقين في ميدان الفهرسة.

◆ **علم نقد النصوص ونشر الكتب:**

عرف العلماء المسلمون كثيراً من أصول التدوين وفنون المقابلة وتوثيق النسخ المخطوطة، وتوثيق النصوص، والأسانيد والسماعات ونحوها، وكان لبعضهم جهود في ذلك، لكنها بقيت معلومة لديهم، ولم تصبح منهجاً واضحاً متكاملاً، والمستشرقون عرفوا ذلك واستفادوا ممّا ورد لدى المسلمين، إلى جانب ما ورد في لغاتهم من مناهج لتحقيق النصوص اليونانية واللاتينيّة.

أمّا بدايات التأليف في هذا العلم في العصر الحاضر فأوّل من ألّف في هذا الفنّ - بالعربيّة - المستشرق الألماني الدكتور برجستراسر في محاضرات ألقاها على طلبة الماجستير بقسم اللغة العربيّة في كليّة الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٣١[2]، وصدرت في كتاب (**أصول نقد النصوص ونشر الكتب**)، وهو يمثّل آراء جمعيّة المستشرقين الألمان DMG في نشر النصوص.

ثم أخرج المستشرقان الفرنسيان بلاشير وسوفاجيه، تحت رعاية جمعيّة (غيوم بوده) Association Guillaume Bude، L، كتاباً بالفرنسيّة في الموضوع، وطُبع مترجماً تحت عنوان (**قواعد تحقيق المخطوطات العربيّة**

---

(١) ينظر عن الفهارس مفصلة: الاستشراق ودوره في توثيق وتحقيق التراث العربي المخطوط- عباس صالح طاشكندي ٧-٩

(٢) طبع بإعداد تلميذه د. محمّد حمدي البكري طبعة أولى في مطبعة دار الكتب المصريّة عام ١٩٦٩، ثمّ طبع ثانية في الدار نفسها عام ١٩٩٥، وطبعته دار المريخ للنشر - الرياض عام ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

وترجمتها – وجهة نظر الاستعراب الفرنسي)[1]، وهو يمثّل آراء جمعيّة غيوم بوده الفرنسيّة، لكنّه لا يشتمل إلاّ على قواعد مختصرة، ينقصها التمثيل عليها من المخطوطات، واعتنى بقواعد ترجمة الكتب العربيّة إلى الفرنسيّة[2].

ومع اعتماد المستشرقين في نشرهم النصوص العربية على ما وصل إليه هذا الفنّ في نشر لغاتهم القديمة، لكنّنا لا ننكر ما وصل إليه العرب في هذا الميدان، فقد سبقوا الغربيين في بعض جزئيات مناهجهم الحديثة في النشر، واطّلع عليها الغربيون ومنهم المستشرقون واستفادوا منها.

وفيما يلي أورد مثالاً قديماً يدلّ على أنّ أصول بعض ما وصل إليه الغربيّون في نقد النصوص تعود إلى التأثير العربيّ عليهم.

نقد النصوص عرفه الغربيون قديماً، وهذا مثال قديم يؤكّد أصل هذا العلم الذي طبقه المستشرقون على التراث العربيّ، فهم ينطلقون من أسس قديمة لنقد تراثهم ونشره، وإنْ كان علماؤهم وباحثوهم في القديم أخذوا كثيراً من تلك الأسس عن علماء المسلمين.

هذا المثال عن دراسة نصوص التوراة دراسة علميّة من قبل أحد علمائهم، وهو **باروخ اسبينوزا**، وعن تأثره بأحد علماء المسلمين.

ولد (باروخ اسبينوزا) في أمستردام بهولندا عام ١٦٣٢م، وتوفي سنة ١٦٧٧م (١٠٨٧هـ). وكانت أسرته قد هاجرت من الأندلس بعد سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢م على يد فرديناند ملك أسبانيا، وإخراج المسلمين منها، فقد تعرّض اليهود للقسوة لإجبارهم على النصرانيّة أو خروجهم من الأندلس بعد مصادرة ممتلكاتهم.

من آثاره دراسته لنصوص التوراة المنسوبة إلى موسى عليه الصلاة والسلام في كتابه (رسالة في اللاهوت والسياسة)[3] فقد أفرد معظمه لهذه الدراسة.

في دراسته تناول الظروف العامّة والخاصّة لحفظ التوراة وروايتها ونقلها، لمعرفة صحّة نسبتها إلى موسى عليه الصلاة والسلام، ومن كاتبها ؟ وتوصّل في دراسته إلى عدم صحّة تلك الأسفار، فنفى أنْ يكون موسى عليه الصلاة والسلام كتبها، وأثبت أنّ كاتبها عاش بعد موسى بزمن طويل، وأنّ موسى كتب سفراً مختلفاً عنها.

واستدلّ اسبينوزا على تلك النتائج بنصوص من التوراة نفسها تدلّ على أنّ كاتبها كان يتحدّث عن موسى بكونه شخصاً آخر غير المؤلّف، ولا يمكن أنْ يكون موسى هو الذي كتبها ثمّ تحدّث عن نفسه، كما أنّه استدلّ من نصّها على أنّ كاتبها تحدّث عن أشياء حدثت بعد موسى بزمن طويل، وعن أسماء أماكن لم تعرف إلاّ بعد موت موسى عليه الصلاة والسلام بزمن طويل.

ودراسة (اسبينوزا) لنصوص التوراة مثال واضح على نقد النصّ للوصول إلى معرفة صحته وصحّة نسبته.

---

(١) ترجمه د. محمود المقداد، ط الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م، دار الفكر المعاصر - بيروت، دار الفكر - دمشق.

(٢) ينظر عن نشأة علم تحقيق النصوص في أوربّا: مقدمة أصول نقد النصوص ونشر الكتب- برجستراسر ص ١١-١٣

(٣) ترجمه من الفرنسية الدكتور حسن حنفي، ونشرته الهيئة المصريّة العامّة للتأليف والنشر بالقاهرة عام ١٩٧١م.

أمّا عن **أصل منهجه** الذي سلكه فيرجّح بعض المفكرين أنّه من ابن حزم الأندلسي الذي توفي سنة ٤٥٦ هـ، فقد درس نصّ التوراة ونقده وتوصل إلى أنّها ألفت بعد موسى بزمن طويل، واستخدم الاستقراء التاريخيّ للظروف التي أحاطت بتدوين الأسفار وحفظها ونقلها وروايتها، فاستدلّ منها على أنّ بني إسرائيل لم تكن لديهم الظروف المهيّأة لحفظ التوراة، فقد تقلّبوا بين الإيمان والفسق والكفر.

وكانت النتيجة التي وصل إليها ابن حزم والنتائج التي وصل إليها (اسبينوزا) متّفقة في مجملها.

أمّا عن الصلة بين المفكرين وبينهما قرابة خمسة قرون فهو ابن عزرا الغرناطي وهو حبر يهودي عاش في غرناطة بعد ابن حزم بمائة سنة، وعاش ابن حزم فيها، واطّلع ابن عزرا على مناظرات ابن حزم لأحبار اليهود، وعلى كتبه ومنها (الفصل في الملل والأهواء والنحل) و(الردّ على ابن النغريلة)، ونقد ابن عزرا نفسه التوراة، ثمّ قرأ (اسبينوزا) آثار ابن عزرا، وأشار إلى نقده التوراة، إلاّ أنّه زاد على ما ذكره ابن عزرا.

وعليه فيكون أصل المنهج الذي اتّكأ عليه (اسبينوزا) في نقده التوراة مأخوذاً من ابن حزم[١].

ويمكن أنْ يقال: إنّ النقد التاريخيّ للكتاب المقدس في الغرب لم يبدأ بداية منهجيّة حقيقيّة إلاّ في القرن السابع عشر، وكان رائده (اسبينوزا) ثمّ تتابعت الدراسات بعده[٢].

◆ لفت نظر العرب إلى نشر تراثهم:

سبق المستشرقين العربَ في نشر التراث حَفَزَ العربَ فالتفتوا إلى تراثهم ينشرونه، فهم أولى من غيرهم به.

وقد نبّه بعض العلماء إلى فضل المستشرقين في لفت أنظار العرب إلى تراثهم وضرورة نشره، وإرشادهم إلى مناهج تحقيق التراث، قال أحمد شاكر رحمه الله: «فكان عمل هؤلاء المستشرقين مرشداً للباحثين منا المحدثين، وفي مقدّمة من قلّدهم وسار على نهجهم العلامة الحاج أحمد زكي باشا رحمه الله، ثمّ من سار سيرته، واحتذى حذوه، وعن ذلك كانت طبعات المستشرقين نفائس تُقْتَنى وأعلاقاً تدّخر، وتَغالى الناس وتَغالينا في اقتنائها، على علوّ ثمنها، وتعسّر وجود كثير منها على راغبيه»[٣].

ومع وجود علماء عرب كانت لهم عناية وقدرة في ميدان النشر والتحقيق، لكنّ تأثير المستشرقين في هذا الميدان لا يمكن إنكاره، فقد انتشرت مناهجهم في التحقيق بين المحققين العرب، وكان ممّا أسهم في نشرها استعانة المستشرقين بالعرب في تحرير النصوص ونشرها، لمعرفتهم بأنّ العربيّ أقدر على قراءة النصوص العربيّة المشكلة من غيره، وهو دليل على تحريهم الدقّة في النشر، وقد أسهم عمل العرب مع المستشرقين في التحقيق في اكتساب العرب مناهج المستشرقين، ثم تطويرها بعد ذلك بما يناسب تراثهم؛ لكونهم أعلم بتراثهم من المستشرقين.

---

(١) ينظر عن نقد ابن حزم واسبينوزا للتوراة والصلة بين منهجيهما: منهج نقد النصّ بين ابن حزم الأندلسي واسبينوزا د. محمّد عبد الله الشرقاوي، وللاطلاع على ما كتبه اسبينوزا راجع كتابه (رسالة في اللاهوت والسياسة) ص ٢٦٥ وما بعدها.

(٢) ينظر: أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي- عبد العزيز الحميد ١ / ٨٢-٨٣

(٣) تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة- أحمد شاكر ص ١٢

ومن أمثلة عمل العرب مع المستشرقين: الشيخ محمّد عيّاد الطنطاويّ المصري المولود سنة ١٢٢٥هـ، وهو أزهري تعلّم ودرس في الأزهر، ثمّ درّس العربيّة في معهد اللغات الشرقيّة ببطرسبرج (لينجراد) في روسيا حتى توفي سنة ١٢٧٨هـ، وتعلّم على يديه بعض المستشرقين الروس وغيرهم.

ومنهم: أحمد تيمور باشا وأحمد زكي باشا بمصر، وطاهر الجزائري في دمشق، وحسن حسين عبد الوهاب في تونس، وابن أبي شنب في الجزائر، وعبد الحي الكتاني في المغرب، ومحمّد رشاد عبد المطلب وفؤاد سيد بمصر، وكوركيس عواد وقاسم الرجب في بغداد، وحمد الجاسر في السعوديّة، وغيرهم من خبراء المخطوطات والنساخ الذين استعان بهم المستشرقون على نشر التراث[1].

◆ عناصر التطبيق العملي للتحقيق والنشر:

لم يكتفِ المستشرقون بالحديث النظري عن النشر وقضاياه، وإنّما قدّموا تفصيلات تطبيقية لعناصر التأليف العلمي، ومن أبرز من اعتنى بنشر التراث العربي وقدّم تفصيلاً لعناصره برجستراسر، وبتفصيل أقلّ بلاشير وسوفاجيه، ومع أن العلماء العرب في كتبهم التراثية طبّقوا كثيراً من تلك العناصر، لكنّها لم تكن منهجاً متفقاً عليه بينهم، أمّا في العصر الحاضر فقد أصبحت كثيرٌ من تلك العناصر أمراً يجب على الباحث الالتزام به، ويُعدّ عمله العلميّ ناقصاً إن خلا من تلك العناصر.

وأحسب أن كثيراً ممّا ذكره برجستراسر وغيره كان له أثر بيّن في المحققين العرب في العصر الحاضر.

وفيما يلي أعرض أهمّ تلك العناصر:

مقدّمة

اعتنى محققو التراث من المستشرقين بمقدمة التحقيق، فاعتمدوا لها عناصر معيّنة تشتمل عليها، وفيما يلي عناصر المقدمة التي ذكرها برجستراسر:

- ذكر كلّ نسخ الكتاب، ثمّ النسخ التي استخدمها الناشر في نشر الكتاب مع الرموز الدالة عليها وتحقيق تناسبها، وتبيين القواعد التي اعتمد الناشر في اختيار ما ذكره في عدّة النقد من اختلافات النسخ.

- إنْ كان الكتاب أو بعضه قد نشر سابقاً لزم وصف النشرة القديمة وبيان العلاقة بينهما، وكلّ ما يحتاج إليه في نشرها وتقدير قيمتها.

- وصف النسخ: ويكفي في وصفها الإرجاع إلى فهارس دور الكتب التي تُحفظ فيها، إنْ كانت الفهارس مُسْهَبة مُدَقّقة، ولا يكفي ذلك في أكثر الحالات، بل يصف الناشر نفسه النسخ.

نظام وصف النسخ

ذكر نوعين لوصف النسخ:

---

(١) ينظر: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربيّ- محمود محمد الطناحي ص ٢٢١-٢٢٣

الأوّل: وصف مظهر النسخة:

ومن أهمّ عناصره:

- ذكر عدد الأوراق.
- ذكر عدد السطور في كلّ صفحة، وطول الصفحة وعرضها، ومساحة السطح المكتوب عليه منها، وهل الكتابة واضحة أو ممسوحة.
- هل النسخة سليمة أو مُمَزّقة، وهل هي كاملة أو ناقصة، وهل النقص في أوّلها أو في آخرها أو في وسطها، وفي أيّ مكان من الوسط؟ ثمّ يُوصف الورق والتجليد.

الثاني: وصف مضمونها:

ومن أهمّ عناصره:

- اسم الكتاب ومؤلّفه، وأين ذُكر اسم الكتاب، أفي العنوان؟ أم في المقدّمة؟ وإنْ ذُكر في غير موضع واحد ذكرنا الاختلاف الواقع بينه في المواضع المختلفة.
- ذكر أوّل الكتاب - بعد قول المؤلّف أمّا بعد - وآخره، وبيان موضوعه، وسَرْد أسماء أبوابه مع أرقام الصفحات التي يبتدئ كلّ واحد منها.
- وصف الخطّ، بذكر أسلوبه وكيفيّة تنقيطه وتشكيله، ووَصْف ما يُشاهَد فيه من الزخرفة، وأنواع الحواشي وجنسها، وهل قوبلت النسخة بغيرها أو بأصلها؟ ويُنقل ما كتبه مالك النسخة عليها، وما يوجد فيها من السماعات والخواتم[1].

ويظهر هنا مدى تعدّد الجوانب التي توصف بها المخطوطة - على ما ذكره برجستراسر - وهو دليل على تحرّيه الدقّة في هذا المنهج، وإنْ كان يبدو مبالغة في الوصف.

المقابلة بين النسخ

بعد اختيار النسخ المعتمدة في التحقيق تأتي المقابلة بينها لمعرفة الفروق وإخراج نصّ صحيح.

ذكر برجستراسر مرجعه في هذا العمل - أعني المقابلة بين النسخ - حيث ذكر المدرسة اليونانيّة السريانيّة وتقاليدها فقال: «ونحن نرى في تقاليد المدرسة اليونانيّة - السريانيّة أمثلة كافية للوقوف على طريقة مقابلة المخطوطات، فقد كان معروفاً عند هذه المدرسة أنّ مقابلة المخطوطات المختلفة لكتاب ما هي الوسيلة الوحيدة لإقامة نصّ موثوق به، وكان الغرض من استعارة الكتب بين علماء السريان هو قراءتها ونسخها ومقابلتها، وهذا واضح من الصيغة القديمة لعبارة اللعنات الموجهة إلى من لا يعيدون ما استعاروه من الكتب، وقد ذكر الجاثليق تيموتاوس - وكان عالماً محبّاً للكتب،

(١) ينظر: أصول نقد النصوص ونشر الكتب ص ١١٤-١١٦

عاش في أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث للهجرة (الثامن الميلادي) - في أحد خطاباته أنّه قابل نسخته لجزء من كتاب جريجور النصيصي على نسخة أخرى كان قد استعارها من ذلك الشخص الذي يراسله»[1].

واستخدم حنين بن إسحاق قواعد المقابلة في عمله بالترجمة، قال عند حديثه عن الترجمة السريانيّة لكتاب من كتب جالينوس: «ولمّا كنت شابّاً في العشرين أو أكبر قليلاً ترجمت هذا الكتاب لطبيب في جند يسابور.. استخدمت مخطوطاً يونانيّاً كان يشتمل على كثير من الأخطاء، فلمّا بلغت سنّ الأربعين سألني تلميذي حبيش أنْ أصحّح هذه الترجمة، لأنّني في ذلك الحين كنتُ قد حصلتُ على عدد كبير من المخطوطات اليونانيّة لنفس الكتاب، فقابلت هذه المخطوطات وخرجت بنصّ يونانيّ صحيح، وعندئذ قابلت المخطوط السرياني الذي كان ابن شاهدا قد ترجمه ترجمة ركيكة بهذا النصّ الصحيح، وأصلحته بمساعدته، وهذه هي الطريقة العاديّة التي أتّبعها في جميع ترجماتي»[2].

وذكر فرانتز روزنتال بعض الأمثلة على المقابلة عند مدارس الترجمة اليونانيّة السريانيّة، ففي القرن السادس للميلاد عندما كان موسى العجالي يُعدّ ترجمة لـ Glaphyra للقديس كيرلوس، نبّه قرّاءه في مقدّمته إلى وجود اختلافات في متون ترجمات التوراة المختلفة، ونبّه إلى أنّ في ترجمته مقتبسات من التوراة يختلف متنها عن متن التوراة التي ألفوها، وذكر عالم سرياني آخر في مقدّمته لترجمة (شرح سفر نشيد الإنشاد) لغريغوريوس من بلدة نيسا الاختلافات في الترجمات الإغريقيّة للتوراة والفروق بينها وبين الترجمة السريانيّة المعروفة بالبسيطة ونبّه قراءه إليها»[3].

وذكر برجستراسر اهتمام المسلمين بالمقابلة في العصور الإسلاميّة الأولى، وكانوا يعدّون أفضل المقابلات التي تتمّ بمعاونة عالم، فقد نسخ الحسن بن محمّد بن حمدون (المتوفى سنة ١٢١١م) بخطّه الجميل كثيراً من الكتب في الحديث، وقابلها مقابلة دقيقة على الشيوخ[4].

بل ذكر القاضي عياض المتوفى سنة ٥٤٤ هـ مقابلة النسخة بالأصل للتيقّن من مطابقتها له، وجعل ذلك من واجبات المسلم التقيّ[5].

ولعل ما يميّز أعمال المستشرقين أنّهم جعلوا المقابلة بين النسخ ممّا يجب على محقّق الكتاب أياً كان، ولعل العلماء المسلمين اقتصروا في المقابلة على الكتب ذات القيمة العالية، كصحيح البخاري ونحوه.

الفهارس

الفهارس من الأعمال المتمّمة للتحقيق لأنها مفاتيح الكتب، وبقدر قيمة الفهارس الملحقة بالكتاب تظهر قيمته.

---

(١) السابق ص ٩٤-٩٥

(٢) السابق ص ٩٥

(٣) مناهج العلماء المسلمين ص ٧٧-٧٨

(٤) ينظر: أصول نقد النصوص ونشر الكتب ص ٩٦

(٥) ينظر: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع - القاضي عياض اليحصبي ص ١٥٩، ويذكر هنا ما عمله اليونينيّ لاستخراج نصّ سليم لصحيح البخاري، حيث راجع الروايات المختلفة، وحقّقها ممّا شابها من خلط واضطراب. ينظر: مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين - د. رمضان عبد التواب ص ١٤

والكتاب المحقّق يحتاج إلى عدد من الفهارس، تختلف في العدد والنوع بحسب موضوعه.

وقد **ذكر برجستراسر أنّ أوّل ظهور الفهارس في الطباعة الحديثة كانت في الكتب التي اعتنى بتحقيقها المستشرقون**، ولأنّ الكتب التي طبعتها المطابع في بلاد الشرق في ذلك الوقت كانت خالية من الفهارس التفصيليّة، المرتّبة على الحروف، ظنّ الناس أنّ عمل الفهارس الجيدة هو من ابتكار الغرب، والصحيح أنّ المسلمين سبقوا الغرب بالفهرسة، لكنّ الغربيين طوّروا أساليبها وأنواعها.

أنواع الفهارس

لم أجد من فصل الحديث عن الفهارس من المستشرقين الناشرين بالعربيّة مثل برجستراسر في كتابه (أصول نقد النصوص ونشر الكتب)، فقد ذكر أنواعها، وما لم يعرفه العرب منها، وذكر نماذج من فهارس المستشرقين، لكنّه لم يشر إلى الفهارس لدى علماء العربيّة.

ويحسن أنْ أذكر الفهارس عند المستشرقين كما ذكرها برجستراسر، ثمّ أبيّن ما سبق إليه العرب منها وما تميّز به المستشرقون.

الأوّل: فهرس الأعلام، وذهب برجستراسر إلى أنّه لا فرق بين أعلام الأشخاص والأماكن وغيرها، ورأى عدم التفرقة بينها كما فعل بعض الناشرين، إذ فَرّق فهرس الرجال عن النساء عن البلدان عن الأنهار، إلاّ إذا دعا إليه موضوع الكتاب، ففي الكتب الجغرافيّة نستفيد من الفصل بين الجبال والأنهار.

وذهب إلى أنّ المصطلح عليه عند المستشرقين ألا يُعْتدّ في الترتيب بـ(أبو أو ابن أو ال) فأبو الفتح في الفاء، وابن جني في الجيم.

وذكر بلاشير وصاحبه أنّ الأسماء التي يشار بها إلى المؤلّفين العرب في المراجع هي تلك التي يقبلها الاستعمال الاستشراقي الأوربي، وتحذف منها أداة التعريف، مثل: دينوري Dinawari وليس: الدينوري Ad-Dinawari[1].

الثاني: فهرس ما سرده المؤلّف من الآيات والشعر، وهو ثلاثة أقسام:

١) **فهرس الآيات القرآنيّة**
٢) **فهرس الأبيات**
٣) **فهرس لما سوى ذلك**: مثل:

- **فهرس بأسماء الكتب** التي اقتبس منها المؤلّف.

- **فهرس مَنْ نقلوا عن الكتاب**: يحوي أسماء الذين اقتبسوا من الكتاب، فنقلوا منه نبذاً في مؤلّفاتهم.

وذكر برجستراسر أنّ هذا النوع من الفهارس شاع في نشرات الكتب اليونانيّة واللاتينيّة، ولا يعرف له مثلاً في العربيّة، ولا شكّ في قيمة هذا الفهرس - مع صعوبة إنشائه لاعتماده على الاطلاع الواسع على الكتب - لكونه يكشف عن أثر الكتاب المنشور في غيره.

---

(١) قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها- بلاشير، سوفاجيه ص ٤١

- **فهرس المصطلحات العلميّة** : فأكثر الكتب العلميّة يحتاج إليه، وهو يقرب من فهرست الموادّ.

- **فهرس المفردات** : وهو كالمعجم الخاصّ في آخر الكتاب.

وذكر برجستراسر مذهبين لدى المستشرقين في هذا النوع :

الأوّل : أنْ يحتوي على كلّ ما يرد في الكتاب من الكلمات، أو الكلمات الغريبة منها، مع تعديد الأماكن التي ورد فيها، ويسمى هذا النوع من فهارس المفردات Concordance ، ولا يوجد في النشرات إلاّ نادراً.

وذكر برجستراسر أنّه **لا يعرف كتاباً عربياً طبع له فهرس كامل من هذا النوع إلاّ القرآن الكريم**، وذكر أنّ المستشرق فنسنك Wensink ابتدأ بطبع فهرست عام من هذا الجنس لكتب الحديث، وأراد به (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي)، ولم يكن قد اكتمل حينما ألقى برجستراسر محاضراته.

كما ذكر أن معهد اللغات الساميّة بجامعة القدس ابتدأ بعمل فهرس لجميع الكلمات التي وردت في الشعر العربيّ القديم، ولعلّه أراد بهذا العمل ما بدأ به معهد الدراسات الشرقية في الجامعة العبرية عام ١٩٣٥م، وهو إعداد سجل ضخم للشعر العربيّ القديم لاستخدامه مرجعاً للطلبة اليهود في بحوثهم حول العربية، فقد وضعوا لكل كلمة في الشعر القديم بطاقة بما يتعلّق بها، وقد سجّلوا - حتى آخر الستينات - أكثر من مليوني بطاقة[١].

وذكر أنّه يجوز في فهرس الكلمات الاكتفاء بالغريب.

وأثنى على عمل المستشرق الهولندي دي خويه (de Goeje)، فإنه عند نشر المجموع الكبير لكتب الجغرافيّة العربيّة وضع فهرساً للغريب الوارد فيه من المفردات، وألحق بطبعة ليدن لتاريخ الطبري فهرساً خاصّاً للمفردات الواردة فيه.

الثاني : أنْ يحتوي الفهرس على لغة الشاعر التي امتاز بها عن غيره، فيحوي المفردات التي وردت عند الشاعر أكثر من مرّة، وممن ذهب إلى هذا النوع المستشرق الإنجليزي (ليال Lyall) الذي نشر كثيراً من الشعر العربيّ، فإنه عندما نشر ديوان عبيد بن الأبرص، وديوان عامر بن الطفيل، ألحق بهما فهرساً لما امتاز به عبيد من المفردات، فلم يذكر في الفهرست الكلمات المألوفة، ولا الغريبة التي لا ترد إلاّ مرّة واحدة، بل جمع ما ورد عند عبيد مرتين أو أكثر من الكلمات النادرة التي لا تذكر في شعر غيره، وكذا فعل كرنكو (Krenkow) عند نشره لشعر طفيل بن عوف الغنوي، رواية أبي حاتم السجستاني عن الأصمعي، وديوان الطرماح بن حكيم الطائي.

ورأى برجستراسر أنّ كلا المذهبين محمود ومفيد، والثاني لائق بالشعر القديم، والأوّل لغيره[٢].

الترقيم

هو استعمال العلامات للفصل بين الجمل، وذهب برجستراسر إلى الحذر عند وضع علامات الترقيم لما قد يؤدي إليه من الأخطاء، فذكر أنّه لا يرى في ذلك فائدة إلاّ في الأحوال النادرة، لتعوّد الناس على قراءة الكتب الشرقيّة بدون

---

(١) ينظر للزيادة: الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل - إبراهيم عبد الكريم ص ١٧٩-١٨٠

(٢) ينظر: أصول نقد النصوص ونشر الكتب ص ١١٨-١٢٢

ترقيم، ولا يجدون مشقة إلاّ في بعض المواضع الصعبة «وفي زيادة الترقيم خطر الخطأ، إذ رأيت في بعض الكتب العربيّة التي نشرت أخيراً بعض الجمل قطعت قسمين بنقطة دالة على نهاية الجملة، لأنّ الناشرلم يفهم تركيب الجملة فظنّها تامّة قبل تمامها»[1].

أمّا بلاشير وسوفاجيه فلم يبالغا في الخوف من الخطأ عند الترقيم، وإنما أعادا ما يعتري القارئَ من الإزعاج، والنصَّ من الغموض بسبب غياب علامات الترقيم، ولذا يعمد المرء بعناية فائقة إلى تسهيل قراءة النصوص النثريّة وفهمها بتوفير استراحات ذهنيّة، بوضع نقطة حيث يوجد مقطع منطقي في السياق، أو في تفصيل الفكرة، أو البناء النحوي.

وقد ذكرا من العلامات التي يحتاجها الناشر: النقطتين (:)، وعلامة التعجب (!)، وعلامة الاستفهام (؟)، وعند الحوار باستعمال الهُلَيِّلين المزدوجين («-»)، وتستعمل عند الاعتراض أو الأدعية المعترضتان (— ...—) بدلاً من القوسين، لأنّ القوسين يستعملان عند وجود روايتين للنصّ إحداهما طويلة والأخرى قصيرة، فيذكر بين القوسين - عند اعتماد الرواية الطويلة - أجزاء النصّ التي أهملتها الرواية القصيرة.

وتوضع الشواهد القرآنيّة بين مُزهرين { }، ويفصل بين الآيات بزهرة*[2].

ولم يكن علماء المسلمين يجهلون بعض علامات الترقيم، ولكنْ لم يكن أكثر علامات الترقيم التي نستخدمها اليوم معروفاً عند القدماء، فلم يعرفوا الفاصلة، والفاصلة المنقوطة، وعلامات الاستفهام والتعجب، وأقواس الاقتباس، وغير ذلك، ممّا نقلناه في العصر الحديث عن الغرب.

غير أنّهم عرفوا ما يقابل النقطة، للفصل بين الكلامين، وكانوا يرسمونها دائرة، وهى تلك الدائرة التي توجد في المصاحف فاصلة بين الآيات، وقد استخدمت بعد ذلك لترقيم الآيات، بوضع رقم الآية في داخلها، وأشار العلموي إلى هذه العلامة من علامات الترقيم، بقوله: «وينبغي أنْ يفصل بين كلّ كلامين أو حديثين بدائرة، أو قلم غليظ، ولا يصل الكتابة كلّها على طريقة واحدة، لما فيه من عسر استخراج المقصود، ورجّحوا الدائرة على غيرها «، ومع أنّهم لم يعرفوا أقواس الاقتباس، إلاّ أنّهم لم يتركوا الاقتباسات تختلط بكلامهم، فكانوا يعبرون عن انتهاء الاقتباس بعبارات شتى مثل: هذا كلام فلان / هذه ألفاظ فلان / هذا قول فلان / هذا ما قاله فلان / إلى هنا قول فلان / إلى هنا عبارة فلان / انتهى ما ذكره فلان / آخر كلام فلان / انتهى، وكانوا يختصرون الكلمة الأخيرة بالألف والهاء (أ هـ)[3].

وذكر برجستراسر بياناً برموز الكتابة:

الأقواس

ذكر أنّه اصطُلح في نشر الكتب اليونانيّة على استعمال ثلاثة أنواع من الأقواس هي [ ] و< > و():

(١) السابق ص ١٠٥

(٢) قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها ص ٥٠- ٥١

(٣) ينظر: مناهج تحقيق التراث بين القدماء والمحدثين- رمضان عبد التواب ص ٤٣-٤٤

– يحصر بين القوسين [ ] ما كان مروياً في النسخ وليس من أصل الكتاب بل زيادة بعض المتأخرين، ويجوز إسقاطه وذكره في الهامش.

– يُحصر بين القوسين < > ما يفقد في النسخ ونخمن أنّه كان موجوداً في الأصل، وكذا الفرنسيان ذهبا إلى وضع الكلمات التي يدخلها الناشر بين هذين القوسين، لإقامة سقط أو لسد فجوة طارئة في النصّ[1].

– الهلالان ( ) ليس لهما معنى مصطلح عليه في نشر الكتب، فيوضع بينهما الآيات القرآنيّة، أو ما يزاد على النصّ للإيضاح والشرح[2].

◆ النجمة ★ توضع قبل التخمينات التي يغيّر بها الناشر ما كان مروياً في النسخ وبعدها.

◆ بعض الناشرين يضع علامة الصليب (+) في أوّل القطعة المشكلة وآخرها، وذلك عندما يكون النصّ مضطرباً ولم ينجح في إصلاحه، وممن يرى هذا الرأي الفرنسيان[3].

وعُرف هذا عند المسلمين بالتضبيب أو التمريض، وهو أنْ تكتب علامة (ص) على الكلام الذي فيه تصحيف أو نقص أو تقديم أو تأخير أفسد السياق، وكان بعض العلماء يكتب مكان هذه الصاد عندما يختلّ نظم الكلام كلمة (كذا)، ونبهوا على أنّه ينبغي أنْ تترك الكلمة المُضَبّبة على ما هي عليه، ولا يتجرأ على تغييرها، فلعل متعقباً يجد لها وجهاً صحيحاً[4].

◆ توضع نقط (...) مكان الكلمات التي سقطت ولم يُفهم ما هي، وكذا إذا ضاع شيء من النصّ من خرق في الكتاب، وإذا كان في الأصل بياض تُرك بياض في الطبع ونُبّه عليه في الهامش[5].

وفيما يتعلق بالأقواس فإنّ بعض ما ذكره برجستراسر منها غير متّفق عليه، وتغيّر كثير منها، لكنّ معرفة ما كتبه يفيدنا في معرفة الطريقة القديمة التي ساروا عليها، كما أنّنا نلحَظ اختلافاً بين ما ذكره برجستراسر وما ذكره بلاشير وصاحبه في الغرض من بعض الرموز.

◆ دراسة التراث العربي:

تميّز المستشرقون بالجَلَد والتعمّق في كثير من دراساتهم، ولأنّهم يدرسون تراثاً بلغة بعيدة عن لغاتهم، وتتصل بحضارة مختلفة عن حضاراتهم، فإنهم يضاعفون الجهد لسدّ هذه الثغرة لديهم، ومع أن العرب أقدر على فهم تراثهم

---

(١) ينظر: قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها ص ٥٣، ولا يخفى أن الشائع استعمال المعقوفين لهذا الغرض.

(٢) واضحٌ عدم القرار على غرض ثابت للهلالين، وسبق ذكر بلاشير وسوفاجيه وضع الآيات بين مزهرين، وذكر برجستراسر هنا وضعها بين الهلالين.

(٣) ينظر: قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها ص ٥٣، وكذا ذهب إلى ذلك الألماني بول ماس، على أنها قاعدة عامّة في نشر النصوص الغربية، وقد ذكر الرموز والأقواس في إخراج النصوص. ينظر: نقد النصّ ص ٢٧٥-٢٧٦ (ضمن كتاب النقد التاريخي - عبد الرحمن بدوي).

(٤) ينظر: تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث - د. الصادق عبد الرحمن الغرياني ص ٣٨-٣٩

(٥) ينظر في علامات الترقيم: أصول نقد النصوص ونشر الكتب ص ١٠٦-١٠٧

من المستشرقين لكنّ اجتهاد المستشرقين في دراسة هذا التراث، مع ما يستصحبونه معهم من أدوات منهجية تساعدهم في الوصول إلى نتائج تنهض بأعمالهم، وقد تأتي متفوقةً على كثير من أعمال العرب.

نماذج على دراسة المستشرقين التراث العربي

فيما يلي سأعرّف بدراستين لمستشرقَين تناولا فيها بعض المعاجم، وسأحاول الاقتصار على جوانب الإجادة في الدراستين للكشف عن تلك المنجزات.

أ- كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني- دراسة المستشرق الألماني فرنرديم Werner Diem[1]

من المواطن التي أجاد فيها في الكتاب :

ترجمته لأبي عمرو الشيباني فقد ترجم ترجمة موجزة له لا تتعدى صفحتين، ذكر اسمه ومكان ولادته وتلاميذه، وأشار إلى قلة الأخبار عن حياته.

أهمّ قضيّة وقف عندها تاريخ وفاته، فقد ذكر خلافاً فيه على عدّة أقوال: وهي سنة (٢٠٥) و (٢٠٦) و (٢١٠) و (٢١٣) و (٢١٦هـ).

وذكر أنّ كرنكو رجّح أنّ تاريخ الوفاة سنة (٢١٣)، كما أنّه ذهب هذا المذهب استدلالاً بما يلي :

- أنّ أبا العتاهية وإبراهيم الموصلي ماتا في السنة نفسها.
- ما رواه ياقوت الحموي أنّ مناظرة جرت بين الشيباني وإسماعيل بن حماد المعتزلي المتوفى سنة ٢١٢، جَرَت بعد تعيين ابن حماد قاضياً لبغداد بفترة قصيرة، وكان تعيينه سنة ٢٠٨، وروى المناظرة الشيباني نفسه، وعليه فيكون الشيباني عاش بعدها - ولو بفترة قصيرة -، ويكون القول بأنّ وفاته كانت سنة (٢١٣) أقرب الأقوال للصحة.

وذكر باختصار بعض شيوخه، وسرد كتبه[2].

تحديد تاريخ النسخة

ناقش تحديد تاريخ النسخة الوحيدة للكتاب وهي نسخة الأسكوريال، وحاول الوصول إلى الرأي الراجح، وذكر رأيي ديرنبورغ وكرنكو، فديرنبورغ رأى أنّ تاريخ نسخها يعود إلى نهاية القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) أو على أقصى احتمال إلى بداية القرن السابع (الثالث عشر)، أمّا كرنكو فرأى أنّها أقدم ممّا ذهب إليه ديرنبورغ.

ورجّح المؤلّف رأي كرنكو اعتماداً على ما يلي :

---

(١) كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني (دراسة في المعاجم العربية) - فرنرديم، ترجمه د. حسن محمد الشماع، ط الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون.

(٢) السابق ص ١٨-١٩

أ- خط المخطوطة عتيق جداً، يمتاز بزوايا ظاهرة، وذكر من خصائصه: ورود الألف الممدودة (آ) كثيراً بدلاً من الألفين (اا)، وبعد الأفعال المفردة المضارعة التي ثالثها واو تأتي ألف الوقاية، وهذه الألف تنعطف نحو اليمين من جانبها الأسفل، ويرى أنّ هذه الصورة لها دلالة كبيرة لأنّها من خصائص الخط الكوفي المعروف.

ب- وازن فرنرديم خطّ المخطوطة بخطوطٍ أخرى لتحديد تاريخٍ تقريبيٍّ للنسخ، فقد وازنها بمخطوطة لابن السكيت تعود إلى عام ٢٩٠هـ (٩٠٢م)، ومخطوطة أخرى لعالم فلكيّ مجهول كتبت قبل عام ٣٧٦هـ (٩٨٦م)، ووجد التشابه واضحاً مع مخطوطة ابن السكيت، مع بعض الاختلاف، وخرج بنتيجة هي أنّ المخطوطة أحدث من مخطوطة ابن السكيت.

ثم وازنها بمخطوطة مكتوبة بالخط الكوفي الحديث بخط البيروني، ومؤرخة في عام ٤١٦هـ (١٠٢٥م) وتتشابه بها تشابهاً كبيراً عدا اختلافات يسيرة، واستنتج من ذلك أنّ مخطوطة الأسكوريال تعود على الأرجح إلى بداية القرن الخامس الهجري، أي حوالي (١٠٠٠م)[1].

وهكذا استطاع فرنرديم الاحتجاج لما ذهب إليه، واستنباط الدلائل التي ترجح مذهبه، وهو دلالة واضحة على قدرته الاستدلاليّة لما يقول.

أمّا نسخة كرنكو التي نسخها فذكر أنّها تتطابق مع مخطوطة الأسكوريال تطابقاً تامّاً إلاّ في القليل[2].

مآل مخطوطة الجيم:

سلك فرنرديم المناهج الحديثة في جمع المعلومات عن المخطوطة ومعرفة قيمتها العلميّة قبل تحقيقها، وبالإضافة إلى بحثه سابقاً بشأن تاريخ نسخها فقد تتبّع رحلة المخطوطة لمعرفة الأماكن التي حلّت فيها.

ذكر ما كُتب على صفحة العنوان بشأن التملّكات، فكانت لابن هشام النحوي (٧٠٨-٧٦١هـ) ثمّ لولده، ثمّ انتقلت إلى اللغويّ محمّد بن أحمد المعروف بخطيب داريا (٧٤٥-٨١٠هـ)، ثمّ إلى على بن محمّد القابوني (٨٤٤هـ، ١٤٤٠م)، واستنتج من كون داريا وقابون - المنسوب إليهما المالكان الأخيران - قريبتين من دمشق أنّ المخطوطة ظلت مائة سنة - على أقلّ تقدير - في مصر والشام (قبل منتصف القرن الرابع عشر وحتى منتصف القرن الخامس عشر).

وذكر تملّكين آخرين لم يعرف عن صاحبيهما شيئاً في الحاشية اليسرى من صفحة العنوان.

ثم ذكر تملّكاً آخر في موضعين بخط مغربي، ففي موضع: محمّد بن عبد الرحمن بن أحمد القاضي، وفي الموضع الآخر: محمّد بن عبد الرحمن العاصي، وذكر أنّه يمكن قراءة الاسم العاصي أو القاضي، وأراد أنّهما شخص واحد.

ولكي يتعرّف على اسم المالك رجع إلى بغية الوعاة للسيوطي، حيث ذكر عالماً أندلسياً اسمه محمّد بن عبد الرحمن بن العاصي من المَرِيَّة، توفي بعد عام ٥٣٠هـ (١١٣٥م)، وذهب إلى أنّه هو المَعْنيّ، واستنتج من ذلك أنّ المخطوطة كانت بحوزته قبل وصولها إلى ابن هشام بحوالي قرنين، ودعم رأيه هذا برجوع العالم الأندلسي أبي

(١) ناقش تاريخ النسخ ثانية في تحقيقه حرف الكاف. مجلة الأبحاث ٢٢-١٩٦٩ ص ٣-٤

(٢) كتاب الجيم - فرنرديم ص ٢٤-٢٥

عبيد البكري (٤٣٢-٤٨٧هـ / ١٠٤٠-١٠٩٤م) إلى كتاب الجيم في كتابه سمط اللآلي، وذكر أنّ البكري عاش فترة من حياته في المَرِيَّة، وعاش بعده بفترة وجيزة محمّد بن عبد الرحمن بن العاصي مالك النسخة.

وتساءل عن إمكان استنتاج أنّ مخطوطة الأسكوريال كانت موجودة في المَرِيَّة منذ القرن الحادي عشر الميلادي، وأخذ منها البكري في كتابه سمط اللآلي، وظلت هناك حتى أصبحت بحوزة محمّد بن عبد الرحمن بن العاصي، ومال إلى أنّ هذا الاحتمال هو الصحيح.

وأشار إلى أنّ هذه الحالة غريبة فقد نُسخت هذه المخطوطة حوالي عام ألفٍ للميلاد في العراق، ثمّ جاءت إلى أسبانيا (الأندلس)، ومنها نقلت في القرن الثاني عشر أو الثالث عشر عبر شمال أفريقيا إلى مصر وسوريا، وفي القرن السادس عشر أو السابع عشر عادت ثانية في وقت غير محدد إلى أسبانيا حيث استقرت في مكتبة الأسكوريال[1].

والاحتمال السابق عن رحلة المخطوطة بين المالكين ثمّ استقرارها في الأسكوريال احتمال دعمه بأدلة غير قاطعة، لكنّها الوحيدة المقبولة منطقياً، وإنْ كان ذلك الاحتمال غير صحيح فيبقى دليلاً على قدرة الاستدلال لدى المستشرق الألماني فرنرديم، فقد جمع دلائل متفرقة واستطاع أنْ يستخلص منها صورة متسلسلة الأحداث.

مصادر الشيباني في الجيم:

دراسة مصادر المعجم جزء أساس لمعرفة مؤلّفه واتجاهه اللغويّ، فالمصادر تكشف عن نظرة الكاتب إلى اللغة والمَعين الذي تؤخذ منه، وفي ميدان المعاجم تكشف المصادر تمسك المؤلّف بضوابط الفصاحة وحدودها، أو عدم اعترافه بها، وبقدر تشدد المؤلّف في قبول اللفظ أو ردّه يظهر ذلك جلياً في مصادره.

ومصادر الشيباني تكشف عن المنابع التي استقى منها شواهده في كتابه، سواءً كانت رواةً أو دواوين أو كتب أمثال أو لهجات أو غيرها، ولذا حاول فرنرديم حصر مصادر الشيباني على النحو التالي:

المصدر الأوّل:

الرواة: هي أحد مصادر الشيباني في الجيم، بل أهمّها، لذا قال فرنرديم: «لا نعرف معجماً في اللغة أُلّف آنذاك يضم هذا العدد الكبير من الرواة كما هو الحال في كتاب الجيم»[2].

ولبيان قيمة هذا المصدر نبّه إلى بعض النقاط:

- من روى عنهم الشيباني بعضهم من البدو، وبعضهم من الأعلام المعروفين، وأكثرهم مجهولون.

وسرد قائمة بأسمائهم تشتمل على مائةٍ وسبعةٍ وثلاثين اسماً، إضافة إلى إشارته إلى رواةٍ آخرين دون ذكر أسمائهم كقوله: رجل من بني محارب، بعض الأعراب، آخر.

---

(١) ينظر السابق ص ٢٦-٢٧

(٢) السابق ص ٥٣

ووضع لكل راوٍ هامشاً ذكر فيه كل مواضع وروده في مخطوطة الجيم برقم الصفحة والسطر، حتى بلغ عدد مواضع ورود بعضهم أكثر من خمسين موضعاً، وذكر أيضاً مواضع وروده في بعض كتب اللغة، وعندما يذكر اسمين يحتمل أنّهما لواحد فإنه ينبه على ذلك في الهامش ويرجح إنْ وجد مرجّحاً، أو يطرح التساؤل عنه، مثل (أبو خالد) و (أبو خالد العجلاني) / (أبو الخرقاء) و (أبو الخرقاء الوالبي) / (دكين) و (دكين الطائي).

♦ لم يعتمد الشيباني على علماء اللغة المعاصرين له إلاّ على أستاذه المفضل الضبي، فقد استشهد به إحدى عشرة مرة فقط، وكان النصيب الأكبر في كتابه لأقوال رواته، أمّا نصيب الشيباني نفسه فهو قليل، كتصحيح بعض الأقوال وشرحها.

وقد أبرز فرنرديم الجهد العظيم الذي بذله الشيباني في الرواية عن رواته بذكر جميع المواضع التي ورد فيها ذكر كل راوٍ، مع التنبيه إلى عدم اعتماده على علماء عصره - باستثناء أستاذه المفضّل الضبّيّ في مواضع قليلة - وكأنّه يريد أنْ يقول لنا: إنّ الشيباني رجع إلى المصادر الأصيلة وهي الرواة أنفسهم لا العلماء الذين نقلوا عنهم.

المصدر الثاني:

المصادر الشعريّة: وتشكّل المصدر الآخر للجيم، وذكر المؤلّف أنّ الشيباني اعتمد على مجموعات منها، فصارت له ميزة على غيره من المعجميّين العرب، فهو الوحيد الذي يمكن التثبت من استشهاداته الشعريّة بدرجة كبيرة.

دواوين الشعراء:

بلغ عدد الشواهد الشعريّة (٤٣٠٠) بيت، وهو كثير بالنسبة لحجم الكتاب.

وبيَّن أنّ ألفاً وتسعمائة بيت تقريباً ذُكر قائلوها، وتمكّن من تخريج ألفٍ منها في خمسة وعشرين من كتب الأدب، والباقي ألفان وأربعمائة بيت لم يذكر قائلوها، استطاع تخريج أربعمائة منها في كتب أخرى، وعرف قائلي مائتين منها، ولكي يُبيّن صعوبة تخريج الشعر ذكر أنّ مجموع ما خرّجه من الأبيات هو ألف وأربعمائة بيت من مجموع أربعة آلاف وثلاثمائة بيت.

وذهب فرنرديم إلى أنّ طريقة الشيباني تعتمد نظرة خاطفة على دواوين الشعراء، وتكون النظرة إلى القوافي غالباً، ومثّل عليه باستشهاده بقافية ثمانية وثلاثين بيتاً من مجموع تسعين بيتاً من شعر زهير بن أبي سلمى.

وألمح إلى أنّ الشيباني جعل أساس الكتاب الأبيات الشعريّة، وهو ما جعله يذهب إلى أنّ **نهجه في تأليف معجمه مختلف عمّا سلكه علماء اللغة، فهو لم يجمع الكلمات المتجردة ذات الأصول المتشابهة مع شواهدها، وإنما جمع الشواهد التي فيها كلمات يضمها باب واحد ثمّ شرع في الكتابة عنها.**

ولغزارة شواهد الجيم ذهب كرنكو - بعد دراسته عدداً من أوراق الكتاب - إلى أنّه مقتطفات من دواوين الشعراء، ولاحظ أنّ الشيباني يستشهد أحياناً بعدّة أبيات لشاعر واحد.

وأوضح المؤلّف عدم صحة ما ذهب إليه كرنكو، كما سيأتي بيانه لاحقاً.

وأشار إلى التساؤل المطروح حول صحة ذلك الشعر، وذكر رأي مَنْ ذهب إلى اتهام الشيباني بوضع بعضه كمرجليوث وبلاشير[1]، لكنّه وقف موقف المعتدل الناقد في قبول الشعر من حيث المبدأ، ونقد ما يحتاج إلى نقد، كمذهب الأصمعي في بعض أبيات زهير في أنّها موضوعة، في حين ذكرها الشيباني[2].

وأشير إلى الجهد العظيم الذي بذله فرنرديم للتعرف على مصادر الشيباني ومناقشتها، واستخراج ما يدعم أقواله من كتب كثيرة، وبذل كثيرٍ من الجهد للعثور على شواهده[3].

موقف فرنرديم من اللغويّين:

ظهرت ملامح موقف فرنرديم من اللغويّين عرباً وغربيين من تعليقاته المتناثرة بين القضايا الأساسيّة في الكتاب، ولذا فإنّ آراءه التالية تتناول قضايا غير مترابطة تتعلّق بالمعجم:

◆ **اللغويّون العرب:**

♦ ذهب إلى أنّ عدم اعتماد اللغويّين العرب على أسس واضحة في الشرح - إلاّ نادراً - يوجب فحص كلمات المعجم العربيّ على انفراد[4].

وهو هنا يشير إلى مأخذ في عدم وجود منهج واضح للشرح في المعجم العربيّ.

♦ أثنى على جهود اللغويّين في استشهاداتهم وشروحهم وبحثهم عن المعاني الدقيقة واستطرادهم فيها، وذهب إلى أنّ السبب في هذا نظرتهم الجماليّة وتذوقهم للشعر، فاللفظ يحلّ لديهم - في رأيه - في الدرجة الأولى، ثمّ المعنى، ثمّ النظم[5].

◆ **اللغويّون الغربيّون:**

♦ أورد المؤلّف رأي هايوود بأنّ عدداً من الكتب اعتمدت في منهجها على منهج الجيم، وهي: غريب القرآن للسجستاني، والمقصور والممدود لابن ولاّد، والمعرّب للجواليقي، والأضداد لابن الدهان، والأضداد لأبي الطيب، وكذا الإتباع، والأفعال لابن القطاع.

وفرنرديم يقف غير جازم بذلك الأثر للجيم، على أنّه يقر بوجود أثر ظاهري مع الفرق بين تلك الكتب والجيم، فهي ذات موضوع خاصّ وليست معجماً عاماً كالجيم، ولذا فقد مال إلى أنّه لا يمكننا القول بأنّ كتاب الجيم قد أثّر في تلك المؤلّفات بأيّ حالٍ من الأحوال، فهو قد خالف رأي هايوود في هذه المسألة[6].

♦ بسبب الاختلاف في تفسير المعنى بين أهل اللغة ذهب بعض اللغويّين الأوربيين ومنهم د. كوبف في كتابه (المعجم العربيّ كوسيط في صناعة المعاجم العبريّة، العهد القديم ٢٩٧/٦) إلى أنّ شروح المعجميّين خياليّة وليست حقيقيّة،

(١) ينظر: السابق ص ٨١-٨٢ (هامش ١٦٤).
(٢) ينظر: السابق ص ٥٨
(٣) ينظر: السابق ص ٥٣-٥٩
(٤) ينظر: السابق ص ١٠٢
(٥) ينظر: السابق ص ٨٣
(٦) ينظر: السابق ص ٤١

وردّ فرنرديم هذا القول، وذهب إلى ما ذهب إليه ف. فيشر بقوله: «في حالات كثيرة تصادف شروحهم المعاني الحقيقيّة، على الرغم من أنّهم لا يعرفون أصول تلك الكلمات»[1].

♦ لغزارة شواهد الجيم ذهب كرنكو - بعد دراسته عدداً من أوراق الكتاب - إلى أنّ الجيم مقتطفات من دواوين الشعراء، فقد لاحظ أنّ الشيباني يستشهد أحياناً بعدّة أبيات لشاعر واحد.

وأوضح فرنرديم عدم صحة ما ذهب إليه كرنكو، وبيّن أنّ تلك الظاهرة - الإكثار من الشواهد - لا ينطبق على جميع أجزاء الكتاب، فالأبواب الكبيرة تنقسم على العموم إلى ثلاثة أقسام، فالبداية مشحونة بالنصوص المعجميّة، وأغلب الشواهد فيها لشعراء مجهولين، مع ذكر الرواة غالباً، والقسم الثاني يحتلّ الرجز الحيز الأكبر منه، والثالث ترد الشواهد الشعريّة فيه متتالية وبشروح قليلة أو معدومة، أمّا الأبواب الصغيرة فلا يظهر فيها ذلك التقسيم.

♦ وعن دافع تأليف الجيم طرح سؤالاً عمّا إذا كان كتاب العين هو الدافع المباشر لظهور كتاب الجيم ؟ وذكر رأي كرنكو وهايوود بوجود منافسة بين مدرستي البصرة والكوفة فالبصريون أظهروا العين والكوفيون أظهروا الجيم.

لكنّ فرنرديم رأى أنّ الجيم خطوة تطوّرٍ طبيعي بين كتب النوادر غير المرتبة والمؤلّفات المتخصّصة، وهو يمثل التطوّر الداخلي للمعجم العربيّ، أمّا العين فيمثل - في رأيه - المنهج الأجنبي (الهندي) في ترتيبه[2].

♦ ذكر أنّه ورد في مقدّمة كتاب الميداني في الأمثال أنّ شخصين كُنّيا بأبي عمرو، وألّف كل واحد منهما كتاباً في الأمثال، وذكر أنّ أحدهما أبو عمرو بن العلاء، والثاني - في رأي ر. زلهايم - هو الشيباني، وبين فرنرديم أنّه لا يُذكر كتاب الأمثال ضمن كتب الشيباني، ولذا فرأي زلهايم مجرّد افتراض.

♦ أورد فرنرديم الرأي القائل بأنّ معجم الجيم معجمٌ للهجات، وممن ذهب هذا المذهب كرنكو وكريمر وفيلد وغيرهم.

ورأى أنّ هذا القول غير صحيح لأنّه تناول اللهجات كما تناول الشواهد الشعريّة وغيرها من القضايا[3].

♦ وقف فرنرديم موقف المعتدل من رأي مرجليوث وبلاشير في التشكيك بالشعر الذي رواه الشيباني، فهما ذهبا إلى أنّ الشيباني زاد في بعض الشعر، مثل إضافته أبياتاً إلى شعر زهير، وكان الأصمعي يشكك في صحتها، واستدلاّ على ذلك الشكّ برواية وقع اضطراب واختلاف في تفسيرها، فقد قال الشيباني عندما سئل عن قِمَطْر فيه كتب: «إنه من صدق كثير»، ومع اختلاف الروايات الأخرى إلاّ أنّ هذه الرواية اتُّخِذت حجة لذينك المستشرقين للذهاب هذا المذهب، أمّا فرنرديم فوقف موقف المعتدل ولم يقبله وقال: «وكما أعتقد فإنّ هذه الحكاية أو الطرفة اتخذت ذريعة من قبل مرجليوث وبلاشير للشكّ في الشعر»[4].

يتّضح ممّا سبق أنّ فرنديم اتّخذ النظر والدراسة منهجاً في قبول أقوال الباحثين أو رفضها، سواء كانوا عرباً أو غربيين، وسلك مسلك الاستدلال فيما ذهب إليه.

---

(١) السابق ص ٩٩ - ١٠٠
(٢) السابق ص ٤٢
(٣) ينظر في النقطتين: السابق ص ٩٣
(٤) السابق ص ٨١-٨٢، هامش ١٦٤

استعماله الإحصاء

من مظاهر استعماله الإحصاء ما يلي :

- سرد أسماء القبائل التي ذُكرت لهجاتها، فبلغت اثنتين وثلاثين قبيلة، وذكر أنّ شواهد اللهجات حوالي مائة شاهد[1].
- أحصى شواهد الجيم الشعريّة فبلغت أربعة آلاف وثلاثمائة بيت.

ومن القرآن الكريم استشهد بشاهدين، ومن الحديث بشاهد واحد، أمّا الأمثال فبثلاثين مثلاً[2].

- سرد قائمة بأسماء الرواة الذين أخذ عنهم الشيباني في الجيم، وهي تشتمل على مائة وسبعة وثلاثين اسماً، إضافة إلى إشارته إلى رواة آخرين دون ذكر أسمائهم كقوله : رجل من بني محارب، بعض الأعراب، آخر.

ووضع لكل راوٍ هامشاً ذكر فيه كل مواضع وروده في مخطوطة الجيم برقم الصفحة والسطر، حتى بلغ عدد مواضع ورود بعضهم أكثر من خمسين موضعاً، وذكر أيضاً مواضع ورودها في بعض كتب اللغة[3].

- سرد أسماء الشعراء الذين استشهد بهم الشيباني في الجيم، وقد تجاوز عددهم أكثر من ثلاثمائة اسم[4].

خلاصة البحث

ذكر فرنرديم من نتائج البحث :

- التعرف على أسلوب أحد الكتاب العراقيين في حوالي عام ١٠٠٠ م، وعنى به ناسخ المخطوطة، فقد اتّصف بالدقّة، واستطاع استخراج نسخة منقحة من مخطوطتين أو أكثر، مع متابعة رحلة المخطوطة بين المشرق والأندلس.
- أتاح معجم الجيم - إلى جانب التعرف على التطوّر الشكلي للمعجم العربيّ - إطلالة على عالم عربيّ، وهو يجمع مادته المعجميّة ويستخرجها من مظانّها.
- عرّفنا الجيم بالدواوين المفقودة، فأكّد الدور المهمّ للرواة من البدو في جمع شتات اللغة العربيّة.
- بيّن موقف المعجميّين من أقوال الرواة الأعراب حينما ينقصها التمحيص والدقّة.
- أعطى مثالاً على إهمال اللغويّين القدماء التفرقة بين الشواهد الشعريّة فخلطوا الجاهليّ بالأمويّ، والعباسيّ بصورة أقلّ.
- أكّد أنّ منزلة الشواهد الشعريّة أعلى - ولعله أراد أكثر عدداً - من منزلة الشواهد القرآنيّة والحديثيّة عند بعض اللغويّين.
- ظهور أهميّة الكتاب لاحتوائه على موادّ معجميّة كثيرة لا توجد في غيره، إلى جانب الشواهد الشعريّة الكثيرة، وبسبب قلّة أخذ المعاجم منه بقيت بعض مواده دون انتقال[5].

---

(١) ينظر السابق ص ٩٣-٩٤

(٢) ذكر المترجم في الهامش أن المؤلّف أغفل ذكر خمسة وعشرين مثلاً. ينظر رقم (١) في ص ١٢٥ من كتاب فرنرديم.

(٣) ينظر السابق ص ٥٣-٥٦

(٤) ينظر السابق ص ٨٥-٨٨

(٥) ينظر السابق ص ١٥٧-١٥٨

من العرض المفصّل لجهد فرنرديم في دراسته الجيم اتّضح لنا أنّها - على صغرها - لم تكن دراسته تقليديّةً تكتفي بالنمط المعهود والسهل في دراسة ظاهر الكتاب، وإنّما تميّزت بوقفاتٍ تدلّ على قدرته على النظر والتحقيق إلى جانب الجَلَد الذي أوصله إلى نتائج ممتازةٍ في أكثر القضايا التي سبقت الإشارة إليها.

ب- ابن سيده المرسي- المستشرق الأسباني داريو كابانيلاس رودريجيث

Rodrique Cabanelas [1]:

ترجم المؤلف لابن سيده وما يتصل بحياته، ثم خصّ معجميه المشهورين المحكم والمخصص بمزيد عناية.

ومع صغر حجم الدراسة لكنّه ألمّ بكثير من تفصيلات الموضوع، وفيما يلي سأعرض أهمّ ما تناوله:

المحكم والمخصّص:

تحدّث عن معجم ابن سيده المحكم في الفصلين الخامس والسادس، وعن المخصص في السابع والثامن، وجعل التاسع للموازنة بين المعجمين.

وممّا تناوله عن المحكم:

- لكون المحكم رتبه ابن سيده على طريقة العين للخليل بن أحمد، فقد طرح تساؤل بعض الدارسين عن الذي أغرى الخليل بسلوك منهجه العسير، وكان ينبغي أنْ يثنيه ذكاؤه المفرط عن ذلك المنهج.

للإجابة عن ذلك التساؤل أورد رأي (هايوود) في أنّ روح الخليل الرياضيّة هي التي دفعته إلى ذلك المنهج، فلم يستطع التخلي عن تلك الروح، وصار تقليبُ الكلمات وكأنّه لعبةٌ ممتعةٌ لذلك الرجل الرياضي، كما تتجلّى روحه الرياضيّة في حصره أبحر الشعر في علم العروض، وفي ميوله الموسيقيّة.

وعن أوّليّة المنهج أوضح المؤلّف أنّه ليس من المؤكد أنّ الخليل هو الذي ابتكره دون تأثير خارجي، ومال إلى وجود ذلك الأثر، وحاول إيراد بعض الحجج ومنها:

١) ألف الخليل معجمه في خراسان الواقعة على الطريق التي تربط فارس بالهند.

٢) أعانه أحد سكان تلك المنطقة على عمله.

٣) أورد ما لاحظه بعض الباحثين من وجود تشابه شديد بين ترتيب الحروف لدى الخليل وترتيبها في الهجائيّة السنسكريتيّة، مع وجود اختلاف بين الترتيبين يتعلق بخصائص الحروف العربيّة، وأشار إلى تأثر الخليل في تقسيم الأبنية بمعاجم سنسكريتيّة رُتّبت فيها الكلمات وفق عدد مقاطعها[2].

---

(١) ترجمه عن الأسبانية د. حسن الوراكلي، ونشره في مجلة المناهل - بذكر السنة والعدد والصفحة - (س ١ ع ١ ص ١٨٠-١٩٤ / س ٢ ع ٢ ص ٣٢٤-٣٣٣ / س ٢ ع ٣ ص ٣٢٤-٣٣٦ / س ٢ ع ٣ ص ٢٧٤-٢٨٣ / س ٣ ع ٥ ص ٣٢٨-٣٣٨ / س ٣ ع ٦ ص ٤٤٤-٤٦٥ / س ٣ ع ٧ ص ٣٠٨-٣٣٩)، ثمّ نشره في كتاب طبعته الدار التونسية للنشر - تونس ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، وهي الطبعة التي رجعت إليها في هذا البحث.

(٢) ينظر: ابن سيده المرسي- كابانيلاس ص ٨٦-٩٢

وتتضح هنا ثقافة المؤلّف وتمكّنه من المعاجم العربيّة ومناهجها، مع استفادته من علمه ببعض اللغات في الاستفادة من الدراسات المعجميّة بلغات أخرى.

وممّا تناوله عن المخصص:

- نبّه إلى أنّ تجزئة المخصّص في الطبعة فيها فوضى واضطراب، وأسند ذلك الاضطراب في الأجزاء إلى الصدفة أو تصرّف ناسخ المخطوط في توزيع الأبواب دون مراعاة للعرض المنطقي للمادّة، فجاءت الموضوعات متباينة مع عدم التوازن في الطول بين الأجزاء.

وقد نفى أنْ يكون ذلك الاضطراب من ابن سيده اعتماداً على ما ذكره من خصائص معجمه.

- نبه إلى اضطراب آخر في ترتيب المواد داخل كل كتاب من كتب المخصّص في الطبعة، ومثّل بـ (كتاب الخيل) حيث يأتي في نهاية الكتاب كلام عن الأشجار المثمرة والنبات والأشجار والعطور والمروج والمعادن وغيرها، وذكر اختفاء بعض العناوين التي أسقطها الناسخ، واستدلّ على رأيه بعبارة (تمّ كتاب الأصوات بحمد الله وعونه) التي وردت في نهاية نص سقط عنوان كتابه.

أشار إلى أنّ بعض ما ورد في المعجم من الاستطراد والتفريع يمكن أنْ يكون من المؤلّف، فكان يرى ما نستغربه بديهياً، ومثل عليه بـ (كتاب السلاح)، فقد أدرج في آخره أبواباً تحدّث فيها عن طرائق القتل والجرح والضرب والعقاب والدم والموت والكفن والقبر، وعلل المؤلّف ذلك بكونها خواطر جالت بفكر ابن سيده فأوردها في آخر السلاح لأنّه أنسب مكان لها لعدم الحاجة إلى إفرادها بباب مستقلّ.

وذكر مثالاً على الاضطراب لا تعليل له، ففي باب السلاح ختمه ببابين: الأوّل للبهائم، والثاني لحوافرها، وأشار إلى أنّ الصحيح إدراج البابين في كتاب الخيل.

- أشار إلى أنّ كتب المخصّص تنقسم إلى أبوابٍ غير متساوية في الحجم، فبعضها يتألف من بضعة أسطر، وبعضها يتكون من عدّة صفحات.

منهج المخصّص

يقوم منهجه - في رأي المؤلّف - على تجميع الكلمات حول بعض المحاور الرئيسيّة، وتختلف من حيث طولها ووفرة مادتها، ومضمون الكتاب أو الباب يتجه نحو تلك المحاور، حيث إنّ الرابط بين الكلمات تناظر معانيها وتشابهها، فتؤلّف بعض الكلمات فيما بينها مركز جذب لكلمات أخرى وتعبيرات تؤدي المعنى نفسه.

ولتوضيح ذلك المنهج ذكر أنّ ابن سيده - لتمكّنه من المادّة اللغويّة - يتنقّل في معجمه من الأفعال إلى الأسماء، ثمّ إلى الصفات والعبارات والملاحظات المختلفة، وكل تلك الكلمات تدور حول الكلمة المركزيّة.

وعن مدى التوفيق في تطبيق المنهج بيّن أنّ ابن سيده نجح في أكثر الحالات باختيار الوحدة الأساسيّة، وضرب مثلاً عليه **باتخاذه الإنسان محور معجمه**، وأدار مختلف الموضوعات حوله، حيث ساير حياته خطوة خطوة من المهد أو قبله، شاملاً مختلف نشاطاته المختلفة من اجتماعيّة ودينيّة وفكريّة ومادّيّة.

ذهب المؤلّف إلى أنّ طريقته تلك هي التي أتاحت له بناء معجمه بناءً عضوياً حقيقاً بإثارة الإعجاب، حين جعل من الإنسان - وهو وسيلة اللغة وغايتها - نقطة الارتكاز في المخصّص، وجمع حولها شعث اللغة.

وأشار إلى أنّ بناء المخصّص وإنْ كان يبدو منطقياً غالباً إلاّ أنّه يستطرد أحياناً مُغَلّباً جانب العاطفة على العقل.

وأشار إلى التشابه بين المخصّص والمعاجم الموضوعيّة الحديثة - مع مراعاة الفروق بينها - وينقسم المخصّص إلى طبقات (كتب) ومجموعات (أبواب) والمادّة اللغويّة موزّعة بحسب تقارب الموضوع وتشابهه.

وأشار إلى فضل ابن سيده في كونه أوّل من أدخل هذا النوع من المعجمات إلى الغرب الإسلامي ففاق أمثاله في الشرق، وسبق أوربّا التي لم ينضج فيها هذا النوع إلاّ حين نشر روجت P.M. Roget معلمة كلمات الإنجليزيّة Thesaurus of English Words وبواسيير J.B.P. Boissiere معجم الكلمات المتناظرة في الفرنسيّة Dictionnaire analogique de la langue francaise[1].

الجديد في المخصّص

تساءل عن الجدة والطرافة فيه، ثمّ أجاب عن تساؤله بذكر أهمّ ما فيه:

- أفاد ابن سيده من الخطوط العامة لمنهج القدماء في معاجمهم المصنفة، وبالأخصّ أبو عبيد بن سلام.
- مضى يسدّ الثغرات ويحكم هيئة البنية الأساسيّة الملائمة، فأجاد اختيار المادّة اللغويّة وأحسن توزيعها، مثل اختصار (كتاب الخيل) من الغريب المصنف، فاختصره في باب واحد، أو توزيعه مادّة كتاب واحد من الغريب المصنف على بابين مختلفين، مثل صنعه بمادّة كتاب (الطيور والهوام) فقد وزّعها في المخصّص على كتابين هما: كتاب الطير، وكتاب الحشرات.
- اكتساء المخصّص - كالمحكم - بصبغة صرفيّة نحويّة فريدة من نوعها، مثل تخصيصه بعض الأبواب لعرض مسائل في النحو والصرف، وذكر أنّها ظاهرة فريدة لا وجود لها في المعجمات المصنفة.
- أثر الثقافة المنطقيّة لابن سيده تجلى فيما أدرج من كتب جديدة في معجمه، وفي ترتيب المواد اللغويّة وعرضها.

ولعل فيما عرضته مختصراً ما يعطي انطباعاً عن جهد المؤلف في دراسة معجمي ابن سيده: المحكم والمخصص، وهو يمثل نموذجاً لدراسات المستشرقين للتراث العربيّ.

---

(١) ينظر: السابق ص ١١٩-١٢٠، ١٢٥-١٢٦

خصائص أعمال المستشرقين التي تأثر بها العرب

كل منصف يشهد بما تميّزت به كثير من أعمال المستشرقين من مزايا، وهي مع ذلك لا تخلو من مآخذ، لكن المراد هنا هو ذكر أهمّ الخصائص التي كان لها تأثير على العرب في أعمالهم.

ومن تلك الخصائص ما يلي:

تحرّيهم الدقّة في أعمالهم

تحرّى كثير من المستشرقين الإتقان في تحقيق التراث - بقدر ما يستطيعون - تجنباً للوقوع في الخطأ، لكي لا يكون هدفاً لانتقاد العرب أو المستشرقين.

ومن مظاهر ذلك الحرص أنّهم ربما يعيدون طباعة الكتاب أكثر من سبع مرّات سعياً لبلوغ الكمال لمقابلتها على المكتشف من النسخ وتصحيح أخطاء السابقين، كما صنعوا في سيرة ابن هشام وتفسير البيضاوي ونزهة المشتاق وغيرها[1].

العناية بفهم لغة الكتاب المحقق وأسلوبه.

اعتنى كثير من المستشرقين بفهم لغة الكتاب الذي يريد نشره تجنّباً للوقوع في الخطأ، فلكون العربية لغة بعيدة عن لغاتهم كانوا أكثر حذراً، ومن وقع منهم في الخطأ كان أغلب أخطائهم جاء من سوء فهم النصوص العربية.

نبّه برجستراسر إلى أنّه لا بُدّ من دراسة لغة الكتاب الذي يريد نشره وأسلوبه الخاصّين به، فكل كتاب ومؤلّف يتميزان بأسلوب خاصّ بهما، ومعرفة لغة الكتاب وأسلوبه مما يعين على إصلاح النصّ.

وقد مثّل برجستراسر بكتاب (الأسماء الطبّيّة لجالينوس)، فقد ترجمه إلى السريانيّة حنين بن إسحاق، وترجمه إلى العربيّة حبيش بن الحسن الأعصم، وورد فيه: «فإنّ الابتداء بما هو أَعْوَن، وما هو أنفع في الصناعة أولى»، وذكر برجستراسر أنّ كلمة «أعون» غريبة، ونستطيع تصحيحها بالرجوع إلى موضع ثانٍ مُوازٍ للأوّل، لفظه «وقد كان الأنفع لهم، والأعود عليهم أنْ يُذكروا أنفسهم»، ويستدلّ من هذا الموضع على أنّ الصحيح في الموضع الأوّل «بما هو أَعْوَد، وما هو أنفع»، حيث قَرن المترجم بين كلمتي «أعود» و «أنفع» فيستفاد هنا من معرفة لغة المترجم في تصحيح النصّ[2].

وحينما يخفق المحقق في فهم لغة الكتاب يقع في أخطاء متعدّدة، ومن الأمثلة عليه ما يلي:

نشر المستشرق البريطاني نيكلسون رسالة الغفران لأبي العلاء المعريّ، وتميّز عمله بالدقّة والمنهج العلميّ، لكنّه وقع في أخطاء متعددة فيما يتعلق بفهم النصّ العربيّ، وحينما قامت الدكتورة عائشة عبد الرحمن بإعادة نشرها بيّنت

---

(١) ينظر: المستشرقون- نجيب العقيقي ٣/٣٩٥-٣٩٦

(٢) ينظر السابق ص ٥٨-٦٢، وتحدّث عن لغة النصّ المحَقّق مؤلّفها كتاب (المدخل إلى الدراسات التاريخية) ص ١١٤-١١٥، ومما نبّهها عليه ضرورة معرفة لغة العصر الذي كتب فيه النصّ، ولغة الإقليم الذي كتب فيه النصّ، ولغة مؤلّف النصّ، وطريقته في استعمال الألفاظ، مع مراعاة معنى اللفظ في سياقه، فقد يختلف معنى الكلمة منفردة عنها في السياق.

تلك الأخطاء، وأشارت إلى إعجاب بعض الناس بأعمال المستشرقين دون إخضاعها للميزان العلميّ، وممّا كتبته في مقدّمة تحقيقها: «ولقد كنت من بين هؤلاء الذين فتنهم ذلك، وشغلهم الإعجاب بالمستشرقين عن تتبّع دراساتهم بالنظرة الفاحصة والنقد الرشيد، حتى فُرِض عليّ أخيراً أنْ أقرأ بعض آثارهم قراءة علميّة محقّقة، ترضى عنها الدراسة الجامعيّة العليا، فروّعني ما في دراساتهم من أخطاء في فهم الأسلوب العربيّ، وتشاء الصدفة أنْ أشتغل بهذا، في الوقت الذي قرأت فيه كلمة أحد منسوبي وزارة المعارف المصريّة في مهرجان أبي العلاء، فإذا به يتخذ مرجعه الأوّل كتاب نيكلسون (التاريخ الأدبي للعرب-A Literary History of the Arabs).

هناك ذكرتُ في مرارة، أنّ أكثر ما أُلقي إلينا من أحكام في تاريخ الأدب، والنقد الأدبي - ونحن في صدر حياتنا الجامعيّة - كان يُستمدّ من هذا الكتاب بعينه، فالآن - وأنا أنشر (الغفران)، أرى واجباً عليّ أنْ أتمهّل هنا، لأعرض عمل نيكلسون في (الغفران) على الموازين الصحيحة للتقويم»[1].

وذكرت أمثلة على الأخطاء التي وقع فيها، وأشارت إلى ما تميّز به عمله من الدقّة والمنهجيّة، يستطيع الباحث أنْ يدركه عند الاطّلاع على الكتاب[2].

العناية بفهم مادّة الكتاب المحقق وموضوعه:

لكل كتاب مادّة خاصّة به تتصل بموضوعه، وفهم موضوع الكتاب ومادّته مما يعين على نشر الكتاب سليماً من الأخطاء التي تأتي بسبب نقص الفهم.

وقد نبّه برجستراسر على هذا الأمر ومثّل بالقانون لابن سينا، فلا يفهمه إلاّ من فهم علم الطب وتاريخه بعمق، وكذلك كتب الشعر، فلا يفهم وصف الفرس إلاّ من له إلمام بالفرس، ولذا أمسك (نولدكه) عن شرح معلقة طرفة - عند شرحه المعلقات - لما تشتمل عليه من وصف الجمل، فكان يشعر بقلّة علمه به.

وأشار برجستراسر إلى أنّ اللغويّين العرب التفتوا إلى الكلمات — الأسماء — أكثر من التفاتهم إلى الأشياء — المسمّيات — ففي المعاجم العربيّة يُكتفى أحياناً بذكر الاسم، فيقولون: اسم نوع من كذا ... دون ذكر نوعه ولا ما يميّزه عن سائر الأنواع، وغير ذلك ممّا يحتاج إليه.

قال: «وقد عُني المستشرقون كثيراً بعلم الأشياء والأسماء في العربيّة، ويعرف علم الأشياء والأسماء بين الأمم باسمه الألماني Worter und Sachen، لأنّ أوّل كتاب أُلّف فيه كان مؤلّفاً باللغة الألمانيّة، وتنشر الآن مجلة ألمانيّة خاصّة بهذا العلم تحت نفس العنوان، ويبحث هذا العلم في الأشياء أوّلاً، ويبيّن كلّ خصائصها، ففي المحراث مثلاً يبحث عن أقسامه، وشكل كلّ منها، ومادّته وطريقة صنعه، وكيفيّة استعماله، ثمّ يتساءل بعد هذا كيف يُسَمّى كلّ ذلك بلغة من اللغات، وهذه هي الطريقة الطبيعيّة لأنّ الأشياء تتقدّم على الأسماء، وموجودة قبلها، والطريقة المعتادة أنْ تبدأ بالكلمات ثمّ تبحث عن معانيها، وهي طريقة لا بُدّ منها، غير أنّها ليست كافية وحدها، فقد طبق علم الأسماء والأشياء عدّة مرّات على اللغة العربيّة، فصنف الأستاذ شوار تسلوزه كتاباً في أسلحة العرب، وصنف

(١) مقدمة رسالة الغفران - أبو العلاء المعري - تحقيق وشرح عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ص٣٨، دار المعارف بمصر.

(٢) ينظر: رسالة الغفران ص ٣٥-٤٦

الأستاذ كاسدورف كتاباً عن البيت والمنزل، وكذلك نذكر كتاب دوزي في أسماء الملابس عند العرب، غير أنّ الأخير قاموس على الطريقة المعتادة، وأحدث كتاب ألّف في هذا الفنّ هو كتاب الأستاذ بروينلش عن البئر عند العرب»[1].

ومأخذ برجستراسر على اللغويين العرب جاء من تقصيرهم واختصارهم في التفصيل حول خصائص الأشياء، فلأنهم يفهمون لغتهم ويفهمون مدلولات ألفاظها يكتفون بالإيجاز قياساً على المعرفة في عصورهم، لكنّ هذه المعرفة تتغيّر من عصر إلى عصر، فيصبح ما كان واضحاً معلوماً في عصر المؤلف غامضاً ناقصاً.

لعل فيما مضى ما يكفي للكشف عن أعمال المستشرقين وإنجازاتهم في حقل نشر التراث وتحقيقه، ودراسته، وما يُعدّ منه سبقاً للمستشرقين على العرب، ثم تأثر العرب بتلك الإنجازات وتفوّقهم على المستشرقين في ميدان فهم العربية وما يتصل بخصائصها.

والحمد لله ربّ العالمين.

(١) أصول نقد النصوص ونشر الكتب ص ٥٢-٥٣

المصادر والمراجع

- برجستراسر- **أصول نقد النصوص ونشر الكتب**، طبع بإعداد تلميذه د. محمّد حمدي البكري طبعة أولى في مطبعة دار الكتب المصريّة عام ١٩٦٩، ثمّ طبع ثانية في الدار نفسها عام ١٩٩٥، وطبعته دار المريخ للنشر - الرياض عام ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
- بلاشير، ريجيس و سوفاجيه، جان - **قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها (وجهة نظر الاستعراب الفرنسي)**، ترجمه د. محمود المقداد، ط الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م، دار الفكر المعاصر - بيروت، دار الفكر - دمشق.
- الحميد، عبد العزيز بن حميد- **أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.
- روزنتال، فرانتز- **مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي**، ترجمه د. أنيس فريحة، ط الرابعة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، دار الثقافة - بيروت.
- سبينوزا - **رسالة في اللاهوت والسياسة**، ترجمه من الفرنسية الدكتور حسن حنفي، ونشرته الهيئة المصريّة العامّة للتأليف والنشر بالقاهرة عام ١٩٧١م.
- شاكر، أحمد- **تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة**، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، ط الثانية ١٤١٥هـ، مكتبة السنة، القاهرة.
- الشرقاوي، محمّد عبد الله - **منهج نقد النصّ بين ابن حزم الأندلسي واسبينوزا**، مطبعة المدينة- القاهرة.
- طاشكندي، عباس صالح - **الاستشراق ودوره في توثيق وتحقيق التراث العربي المخطوط** (عالم الكتب المجلد الخامس، العدد الأول رجب ١٤٠٤هـ أبريل ١٩٨٤م
- الطناحي، محمود محمد- **مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربيّ**، ط الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م، مكتبة الخانجي - القاهرة.
- عبد التواب، رمضان- **مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين**، ط الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م مكتبة الخانجي - القاهرة.
- عبد الكريم، إبراهيم- **الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل**، ط الأولى ١٩٩٣م، دار الجليل للنشر - عمّان.
- العقيقي، نجيب- **المستشرقون**، الطبعة الرابعة، دار المعارف - القاهرة.
- الغرياني، الصادق عبد الرحمن- **تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث**، منشورات مجمع الفاتح للجامعات ١٩٨٩م.
- فرنرديم- **كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني (دراسة في المعاجم العربية)**، ترجمه د. حسن محمد الشماع، ط الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون.
- فرنرديم- **تحقيق باب الكاف من كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني** (مجلة الأبحاث- السنة (٢٢) عام ١٩٦٩، ص ٣-٥٠).
- كابانيلاس، داريو- **ابن سيده المرسي- دراسة في حياته وآثاره**، ترجمة د. حسن الوراكلي، الدار التونسية للنشر - تونس ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
- ماس، بول- **نقد النصّ (النقد التاريخي)**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ط الرابعة، وكالة المطبوعات، الكويت.
- المعري، أبو العلاء- **رسالة الغفران**، تحقيق وشرح عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ص٣٨، دار المعارف بمصر.
- هارون، عبد السلام - **قطوف أدبية حول تحقيق التراث**، ط الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م، مكتبة السنة - القاهرة.
- اليحصبي، القاضي عياض- **الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع**، تحقيق السيد أحمد صقر، ط الأولى ١٣٨٩هـ ١٩٧٠م، دار التراث - القاهرة، المكتبة العتيقة - تونس.

(Achievements of Orientalists in the Publication of Linguistic Heritage, Its study and the impact of the same on Arab Achievements Afterwards)

Abdulaziz Homaid Alhomaid

Abstract

It is clear that the interest of non-Arabs in the Arab heritage began several centuries ago, due to the different reasons for this interest, and the resulting scientific production of profound impact has had a great impact on the Arab linguists.

In this study, I will reveal aspects of the contact between Arab linguists and Orientalists, and the resulting impact of the Arab linguists on the studies issued by the Orientalists of the Arab heritage.

Also, I will reveal the previous orientalists' activity in spreading the Arab heritage on the activities of its people, the curricula they have taken, and the origins of these curricula, with their differences in the quality of these works, between Majeed who exceeded many Arabs and fall short in his approach. Then, Arab investigators were influenced by these approaches, and senior Arab investigators praised the achievements of many Orientalists in the dissemination of heritage, and their superiority over Arab publications.

The Westerners' impact on Arab linguists in their approach to heritage, and how this impact appeared in their criticism of heritage influenced by criticism of Westerners, or build on that criticism, and then introduced in their research of the renewal resulting from the influence of Westerners.

I will present the positive effects of the orientalist activity in evaluating it, highlighting its strengths and the factors that have gained them, in addition to pointing out weaknesses in some of their efforts. Then points out the strengths and weaknesses points of the efforts of Arab linguists following those efforts of the Orientalists

بحوث

المؤتمر الدولي الثالث

(المنجز العربي اللغوي والأدبي في الدراسات الأجنبية)

يهدف المؤتمر الذي ينظمه قسم اللغة العربية وآدابها بالتعاون مع جائزة الملك فيصل إلى ترسيخ التعريف بالدراسات الأجنبية التي تناولت ذلك المنجز، وإبرازِ جهود الترجمة إلى الثقافات الأخرى، وتشجيعِ الدرس المنهجي الذي تناول المنجز، وإعادةِ النظر إليه بنقده وتقويمه. وكانت محاورُه معنيةً بموضوعات منها:

الدراسات المقارنة في اللغة والأدب، والدراسات اللغوية المتصلة بالنحو والصرف والمعاجم، كما اهتمت بدراسات الأدب العربي قديمًا وحديثًا، إلى جانب الموسوعات وتحقيق الكتب والترجمة والرسائل العلمية.

9 786038 275115

مطبعة الحميضي 4250625 الرياض